الباب الثاني

التثليث في المسيحية

الفصل الأول

فى المجامع المسيحية بين القول بعقيدة التوحيد وإرساء مقولة التثليث

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: مجمع نيقية وتقرير ألوهية المسيح عام ٣٢٥م .

المبحث الثاني: موقف أصحاب عقيدة التوحيد من قرار الألوهية .

المبحث الثالث: المجمع القسطنطيني الثاني ٣٨١م وتقرير ألوهية الروح القدس .

المبحث الرابع: أدلة القوم على ألوهية المسيح والروح القدس ومناقشتها .

الفصل الأول

المجامع المسيحية بين القول بعقيدة التوحيد وإرساء مقولة التثليث

تمهيد:

أهمية دراسة المجامع:

ترجع أهمية دراسة المجامع إلى كونها نقطة البدء الحقيقية في تغير معالم الوحدانية التي عرفتها المسيحية الأولى، كما تبين لنا العوامل التى ساهمت فى بناء مقولة التثليث ونشرها، خاصة (إذا علمنا أن التثليث الذي يعتقده جماهير المسيحيين أو الكثرة الغالبة فيهم ـ لم يعلن للناس دفعةً واحدةً، بل في أزمان متفاوتة مختلفة كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة، وكان ذلك بإعلان المجامع التي كانت لعدد من الأساقفة، وفيها يقرر المجمع رأياً معينًا)[1]. ولايهمنا من هذه القرارات إلا ما يتعلق بالعقيدة.

معنى المجمع المسيحي:

يقول ميشيل جرجس: (المجامع هيئات شورية في الكنيسة المسيحية رسم الرسل نظامها في حياتهم، حيث عقدوا المجمع الأول بأورشليم سنة ٥١، ٥٢م، برئاسة يعقوب الرسول؛ للنظر في مسألة الختان[2] عند الأمم، ومن ثم نسجت الكنيسة على منوالهم بعد ذلك)[3]. والذي يعرف من هذا النص أن المجمع هو عبارة عن هيئة شورية. ومن هنا نسأل: هل هي شورى

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ١٢٠، ط دار الفكر العربي.

(٢) من المعلوم أن الختان مشروع في اليهودية محرم في المسيحية، والذي حرمه بولس لا المسيح عليه السلام.

(٣) نقلاً عن كتاب يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٠٣، د. رؤوف شلبي.

ملتزمه بالنص، أم مطلقة حسب منطق العقل؟

إن كانت خاضعة للنص فلم حرَّمتم الختان والنص يحلله؟ إن قلتم: إنها شريعة اليهود ولا تُلزَم بها الأمم، قيل لكم: لقد خالفتم النص القائل: (ما جئت لأنقض الناموس والأنبياء. . . .)[٤]، وإن قلتم بالنسخ سلم لكم، ولكن أين دليل النسخ عندكم؟ وهل حقا تعترفون بالنسخ؟. إنني لا أرى ذلك.

وإن كانت شورى مطلقة حسب منطق العقل قيل لكم: قد خرجتم عن الوحي والشرع، وأصبحتم في عداد الفلاسفة، فهل حقًا تكون الفلسفة في يوم ما منسوبة إلى وحي السماء[٥]؟

أنواع المجامع:

إن المجامع في المسيحية نوعان كما يقول صاحب تاريخ الأقباط: (مجامع مسكونية أو عالمية، ومجامع مكانية أو إقليمية)[٦]. وأول هذه المجامع مجمع نيقية، وللمجتمعين فيه يرجع الفضل في إخراج مسرحية التثليث الهزلية، والتي جاء الفصل الأول منها باسم ألوهية المسيح.

المبحث الأول: مجمع نيقية وألوهية المسيح ٣٢٥ م:

يذكر ابن حزم (أن المسيحية بقيت على التوحيد الخالص مدة لا تقل عن ثلاث مئة سنة. . . إلى أن تنصر قسنطين الملك، فأجبر الناس على النصرانية بالسيف والعطاء، وبلغ تشجيعه للنصرانية إلى درجة قصر الولاية

(٤) إنجيل متّى إصحاح ٥/ ١٧.
(٥) راجع يا أهل الكتاب تعالوا ص ٢٠٤، د. رؤوف شلبي.
(٦) تاريخ الأقباط ١ / ١٧٠، زكي شنودة.

على من تنصر من الناس)[٧] . وكان من ثمار هذا التشجيع أن دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين المملوءة رؤوسهم بالفكر الوثني، الذي صبغت به المسيحية فيما بعد، فتكون مزيج غير تام التكوين، غير تام الاتحاد والامتزاج بين هذه الطوائف وأصحاب عقيدة التوحيد)[٨] على حد تعبير الشيخ محمد أبو زهرة. ومن ثم برزت على السطح مسيحية جديدة ذات اتجاهات مختلفة تدعو إلى ألوهية المسيح وإرساء عقيدة التثليث.

وعن هذه المسيحية الداخلية يحدثنا صاحب كتاب «تاريخ العصور الوسطى المبكرة» فيقول: (إنها كانت تخالف المسيحية الحقيقية ـ مسيحية التوحيد ـ حيث ابتدعت أشياء لا يرضى عنها المسيحيون الأصوليون الموحدون، فزعم أتباع بولس ـ المدعو عندهم بالرسول ـ ألوهية المسيح، وكنيسة الإسكندرية وأتباعها يقولون بالتثليث، وآخرون يدعون المسيح ابن الله، وكل هذا ضلال تتنزه عنه الرسالة الإلهية، وبدأ الصراع بين المسيحية الحقيقية والمسيحية الجديدة، واعتبر في هذا الصراع المسيحيون الأصوليون متمردين، ومكث هذا الصراع حتى عقد مجمع نيقية (٣٢٥)م بدعوة من الإمبراطور قسطنطين الملك للبحث في التعاليم الأريوسية)[٩] .

ومن هذا القول نفهم أن التعاليم الأريوسية ـ وهي لا تخرج عن التوحيد ـ هي الوحيدة التي تقف في الميدان لمحاربة أتباع المسيحية الجديدة؛ لأن هذه التعاليم هي التي تحمل روح المسيحية الأصلية، والغريب العجيب أن الأستاذ زكي شنودة يسمي هذه التعاليم الأريوسية بدعة، وهذه البدعة هي التي أدت إلى عقد مجمع نيقية. و أقول للأستاذ زكي شنودة إن البدعة

(٧) راجع الفصل في الملك والأهواء والنحل ١ / ٨٠٨.
(٨) انظر محاضرات في النصرانية ص ١٢٢ .
(٩) تاريخ العصور الوسطى المبكرة ص ٧٤، إسحاق عبيد.

كما نعلمها هي أمر مستحدث يؤدي إلى ضلال، وأريوس في تعاليمه كان يقول: (إن الأب وحده هو الله والابن مخلوق مصنوع، وقد كانَ الأب إذ لم يكن الابن). كما يقول ابن البطريق[١٠]. فهل هذا القول مستحدث وجديد على المسيحية؟ لا أرى ذلك. بدليل أنك قلت: (إن العيب ليس على أريوس، بل على فئات أخرى سبقته في إيجاد هذه البدع فأخذ هو عنها)[١١]. وإذا كانت هذه الفئات هي التي قالت بما قال أريوس فمعنى هذا أن أريوس ليس بمبتدع، بل يسير في طريق أسلافه من الحواريين، والمبتدع هو من قال بألوهية المسيح ولا داعي لقلب الحقائق.

صورة حية من داخل المجمع:

ولما كان هذا المجمع هو الأول من نوعه الذي يريد أن يناقش التعاليم الأريوسية التي تتمسك بعقيدة التوحيد الخالصة أردنا أن نعرف مَنْ هؤلاء المناقشون؟ وإلى أي دين ينتمون؟ حتى تكون لهم الصفة القانونية الشرعية لمناقشة عقيدة ورثها أريوس وأتباعه منذ أمد ليس بقريب، ولذلك سنترك المؤرخ المسيحي ابن البطريق ينقل إلينا صورة حية من داخل هذا المجمع النيقوي، يقول ابن البطريق: (بأمر من الإمبراطور اجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة، وكانوا مختلفي الآراء والأديان... فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلهان من دون الله، ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الأب بمنزلة شعلة من نار انفصلت من شعلة نار، فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية فيها، وهي مقالة سابليوس، ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر، وإنما هو في بطنها كما يمر الماء في الميزاب، ومنهم من كان يقول إن المسيح إنسان مخلوق من اللاهوت

(١٠) تاريخ ابن البطريق ص ١٢١.

(١١) تاريخ الأمة القبطية ١ / ١٧٥، زكي شنودة.

كواحد منا في جوهره، وإن ابتداء الابن من مريم ويرون أن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ولا يؤمنون بالكلمة ولا بالروح القدس، وهي مقالة بولس الشمشاطي بطريك إنطاكية، ومنهم من كان يقول إنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح و طالح وعدل بينهما. . ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاث مئة وثمانية عشراً سقفًا)[١٢]. هذا هو ما نقلة ابن البطريق. واللقطة الأولى تكشف عن عدد الحاضرين وهو ٢٠٤٨، ويقول ابن البطريق: إن هؤلاء جميعًا كانوا أساقفة، ومعنى هذا أنهم كانوا على دين واحد وهو المسيحية، ولكن الرجل يتناقض مع نفسه حين قال إن هؤلاء كانوا مختلفي الآراء والأديان، ومعنى هذا أنهم ليسوا جمعيا من أتباع المسيحية، ولم يكونوا جميعًا أساقفة، وما ساقه هذا المؤرخ كشف لنا النقاب عن صدق هذا القول، فالديانة المسيحية الموحدة لم تعرف أن المسيح وأمه إلهان، أو أنه عليه السلام كان شعلة من نار، ولم تره في يوم ما إلهًا من دون الله، ولم يدرك أصحاب المسيح أن الإله الواحد ثلاثة هم: صالح وطالح وعدل بينهما، بل الذي أدرك هذه الأمور واعتقد بهذه الأقوال هم الذين رضعوا من لبان الوثنية، وارتموا في أحضان الفلسفة قرونًا من الزمان طويلة، وهؤلاء وإن خلعوا على أنفسهم اسم المسيحية لم يكن لهم الحق القانوني والصفة الشرعية في مناقشة التعاليم الأريوسية، ومع ذلك فقد شهدت ساحة المجمع أكبر مناقشة عقائدية بين هؤلاء الوثنيين، خاصة من يريدون تأليه المسيح وبين الموحدين.

بين المؤلهين و الموحدين:

كانت مدرسة الاسكندرية هي زعيمة الفكر الوثني الذي يدعو إلي تأليه

(١٢) تاريخ ابن البطريق ١ / ١٢٦.

المسيح داخل المجمع، ولذلك وقف بطريك الإسكندرية يعلن أمام جموع الحاضرين أن المسيح لم يكن بشرًا رسولاً، بل كان إنسانًا إلهاً. وهذا قوله الذي نقله إلينا أدولف هرنك: (دائمًا إله دائمًا ابن، وفي نفس الوقت أب، وفي نفس الوقت ابن. . . والابن أزلي غير مخلوق، دائمًا إله دائمًا ابن) [١٣]. لقد كان هذا الرجل يعتقد بالوجود الأزلي للأب والابن، فالأب لا يمكن التفكر فيه بدون الابن الذي صدر عن الأب.

وللرد على هذه الأقوال وقف أريوس وأتباعه يعارضون، وكانت أقوالهم يغلب عليها الفكر التوحيدي من أن الإله الواحد الأحد هو الأزلي وحده، وأن الابن [١٤] ليس أزليًا، ولكنه خلق من خلق الله أوجده من العدم، وتتلخص تعاليم أريوس وبقية الموحدين داخل المجمع ـ كما يقول صاحب كتاب «الدولة و الكنيسة» ـ في الأمور التالية:

١) (أن الأب هو الإله الحق في مقابل الابن الذي ليس إلهًا حقًا، فهما متعارضان بالضرورة على أساس التعارض بين غير المخلوق والمخلوق، ومن ثم فليس هناك اثنان غير مخلوقين إلهان لا متناهيان.

٢) أن الابن ليس غير مولود وليس جزءا من غير المولود. . . وإنه قبل أن ولد وخلق أو قصد لم يكن؛ لأنه كان غير مولود، وعلى ذلك فالله لم يكن دائمًا أبًا، لأنه كان وحيدًا.

٣) إن الله تعالى له قوة طبيعية ليس كمثلها شيء ـ سرمدية ـ، أما المسيح فهو ليس القوة الحقيقة لله وإنما هو إحدى هذه القوى. . . وعلاقته

---

(١٣) تاريخ العقيدة د. أدلف هنرك نقلا عن كتاب طائفة الموحدين ص١٤ المهندس أحمد عبد الوهاب.

(١٤) إذا ما قال الموحدون هنا بالبنوة فإنهم لا يقصدون سوى البنوة المجازية لا الحقيقية.

بالأب أنه مخلوق له [١٥]. والموحدون في ذلك يتصورون أن هناك مسافة شاسعة بين الله والمخلوقات، (والابن ـ المسيح ـ واحد من هذه المخلوقات، ومعرفته بالله تعالى معرفة غير كاملة، وما يراه الابن وما يعرفه فإنما هو بالنسبة لقواه، وبذلك لم يعد المسيح إلهًا حقًا، ولم يكن في يوم ما أزليًا، بل هو مولود مخلوق بكلمة من الله) [١٦].

ولا شك أن هذا الفكر الذي اعتمد عليه هؤلاء الموحدون يصادقه الواقع الملموس للحياة اليومية فالكون كله يتحرك بدقة ونظام ﴿ **لا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ** ﴾[١٧]، ولو كان هناك إلهٌ يشارك الخالق في هذا الوجود لما دامت هذه الدقة، و لتخلف هذا النظام؛ ولذلك أشار كتاب الإسلام إلى هذه النقطة بالذات قائلاً: ﴿ **لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا** ﴾ [١٨].

وبناء عليه فأقوال الموحدين كان لها النصيب الوافر من الصحة، ومع ذلك فقد سمح الملك قسطنطين بعرض جميع الآراء المختلفة، (وأخلى لجميع الحاضرين داراً يجتمعون فيها، وأمرهم أن يتناظروا لينظر من منهم على الدين الصحيح فيتبعه، فاتفق منهم هؤلاء الثلاث مئة والثمانية عشر أسقفًا على دينٍ واحدٍ ورأيٍ واحدٍ) [١٩]، وهو تأليه المسيح.

---

(١٥) راجع كتاب الدولة الكنيسة ج٢ / ١٦٠ د. رأفت عبد الحميد، ط دار المعارف المصرية.

(١٦) المصدر السابق؛ بتصرف.

(١٧) سورة يس آية ٢٢.

(١٨) سورة الأنبياء آية ٢٢.

(١٩) راجع تاريخ ابن البطريق ١ / ١٢٦.

تدخل الملك وإقصاء الموحدين:

ولما كان من الطبيعي أن يمتد النقاش بين هذه الفرق المختلفة إلى أجل غير مسمى كان على الملك أن يتدخل لصالح الموحدين الذين كانت أقوالهم أقرب من غيرها إلى العقل والنقل، ولكن الملك خالف ما كان متوقعًا واقترب من الذين قالوا بتأليه المسيح (وهم الثلاثمئة والثمانية عشر أسقفًا، ووضع لهم مجلسًا خاصًا عظيمًا، وجلس في وسطهم، وأخذ خاتمة وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: سلَّطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا، مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين، فباركوا الملك، وقلدوه سيفه، وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذُبَّ عنه)[٢٠].

أهم القرارات الملكية الصادرة عن المجمع:

ولم ينفضّ المجمع إلا بعد إصدار قرارات مهمة تحمل المرسوم الملكي إلى كافة الطوائف المسيحية آنذاك، وكان من أهم ما قرره المجمع ـ مجمع الثلاثمئة والثمانية عشر ـ تكفير أريوس وبقية الموحدين، وإعلان المقولة الجديدة التي تجعل من المسيح ربًا، وأنه هو ابن الله، ومساوٍ له في جوهره.

صيغة العقيدة الجديدة:

ولقد ذكرت مجلة الكرازة المرقسية الصيغة التي قررها المرسوم الملكي للعقيدة الجديدة على النحو التالي: (نؤمن بربٍّ واحد أب ضابط الكل، وخالق السموات والأرض، ما يُرى وما لا يُرى، نؤمن بربٍّ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل الدهور، نور من نور، إله حق مولود غير مخلوق، مساو للأب في الجوهر الذي به كل شيء، هذا

(٢٠) المصدر السابق ١ / ١٢٧ .

الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاص نفوسنا، نزل من السماء، وتجسد في الروح القدس، ومن مريم العذراء، وتأنس، وصُلب عنا على عهد بيلاطس النبطي، وتألم، وقُبر، وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب، وصعد إلى السموات، وجلس عن يمين أبيه، وأيضًا يأتي في مجده ليدين الأحياء والأموات، وليس لملكه انقضاء)[٢١].

وبهذا القرار الذي به صدرت العقيدة الجديدة نرى أن الخطوات العملية لإقصاء عقيدة التوحيد، التي عاشت أكثر من ثلاثة قرون في المسيحية تقاوم الوثنية، بدأت تأخذ الصفة الرسمية وتؤيدها القرارات الملكية، ولكن هل يا ترى سيقف الموحدون مكتوفي الأيدي أمام هذه العقيدة المفروضة؟ وقبل أن نتعرض للإجابة على السؤال سننظر بعين البحث العلمي الدقيق إلى ما دار في المجمع، وما نتج عنه من عقيدة، لنبين وجهة نظرنا في ذلك.

تقييم قرارات مجمع نيقية والملاحظات عليها:

لفحص قرارات مجمع نيقية لا بد لنا من دراسة نظريتين:

الأولى: عبارة عن نظرة عامة لما كان عليه المجمع.

الثانية: عبارة عن نظرة خاصة للفقرات التي احتوت عليها العقيدة الجديدة.

أولاً: نظرة عامة إلى المجمع:

بأمر من قسطنطين كان عدد الحاضرين في المجمع ٢٠٤٨ أسقفاً، وبقرار من قسطنطين أيضاً تمثلت آراء المجمع في ٣١٨ أسقفًا فقط، وأبعدت

(٢١) انظر مجلة الكراوة المرقسية، الأعداد من ١ - ١٠ بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٨٠ م إلى ١٣ فبراير ١٩٨١ م، شرح قانون الإيمان.

آراء الآخرين. وهنا لابد من وقفة لنسأل: أين ذهبت آراء الباقين؟ ولماذا أهملت بهذه الطريقة؟ وهل يصح للكنائس المسيحية جميعًا أن تلتزم بقرارات ٣١٨ أسقفًا فقط من ٢٠٤٨؟ولماذا بها تلتزم هل لأنها آراء الأغلبية أم أنها تتناسب والعقل؟ أما إن كانت المسألة مسألة أغلبية (فإن الرواة يقولون ـ كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة ـ : إن آريوس لما اجتمع بهم وألقى بدعوته ونحلته إليهم انضم إلى آرائه أكثر من سبعمئة أسقف، وهذا العدد هو أكبر عدد نالته نحلة من تلك النِّحل المخالفة، فلو كانت النصرة بالكثرة النسبية لكان الواجَب أن تكون الغلبة لآريوس الذي احتج بما تحت أيديهم من أناجيل، فلما عارضوه بنصوص أخرى تدل على ألوهية المسيح قرر تحريفها) (٢٢).

وإن كان الأمر متوقفًا على العقل فإن العقول السليمة لا تتصور في يوم ما أن رسولاً من البشر يرتقي إلى درجة الألوهية ويملك زمام الكون، ويستطيع بقدرته أن يقرر فيه ما يشاء، وبينما هو كذلك تناله اليد البشرية، وأي يد هي؟إنها أقذر يد عرفتها الإنسانية، وهي اليد اليهودية، تتناوله بالضرب والسب والشتم، ثم تُثنّي عليه بالقتل والتمثيل والصلب، ومع ذلك فهو مازال إلهًا. أي عقل هذا الذي يتصور إلهًا للكون بهذه الصورة المهينة؟ إن المسيح علية السلام لا يمكن أن يهبط بعقله إلى هذا الدرك، ويدعو لنفسه إلى هذه الألوهية، حاشا المسيح ورسالته، وحاشا الله رب العالمين أن يكون كذلك.

والسؤال الذي يفرض نفسه الآن هو: من الذي اختلق هذه المقالة؟ ولماذا فرضها الملك على الجموع المسيحية؟! وابن البطريق ـ وهو ممن

(٢٢) راجع محاضراته في النصرانية ص ١٢٦، ١٢٧ وأيضاً كتاب النصرانية والإسلام ص ٢٥ للأستاذ محمد عزت الطهطاوي.

يعتقدون هذه العقيدة بلا روية ـ هو الذي ألزم نفسه بالإجابة على هذا السؤال حين قال: (ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح، وهي مقالة بولس الرسول، ومقالة الثلاثمئة وثمانية عشر أسقفًا)[٢٣]. وبذلك يقرر ابن البطريق في غفلة من قلمه أن المسيح لم يقل أنه إله، و إنما الذي قال هو بولس الرسول والثلاثمئة وثمانية عشر أسقفًا، أما المسيح وحواريه فهم برءاء من هذه المقالة، ومع ذلك فقد كان لها النصر بفضل قسطنطين وسيفه.

من هو قسطنطين وما هي عقيدته؟

ذكر ول ديورانت في كتابه «قصة الحضارة» ترجمة لقسطنطين، هذا الذي له اليد العليا في فرض ألوهية المسيح، وإقصاء عقيدة التوحيد فقال: (إنه ابن غير شرعي لقسطنطيوس من محظيته الشرعية هلينا خادمة إحدى الحانات في بثينا، فلما أصبح قسطنطيوس قيصراً طلب إليه دقلديانوس أن ينتحي عن هلينا ويتزوج بثيودورا ربيبة مكسيمان) [٢٤]. أما عن ثقافته فإن صاحب كتاب« الدولة والكنيسة» هو الذي كشف لنا النقاب عنها حين قال: (إن قسطنطين لم يكن على قدر كبير من الثقافة)[٢٥]. والسبب في ذلك كما يقول ول ديورانت: (هو انخراطه في سلك الجندية مبكراً) [٢٦]. وعن العقيدة التي تربي في أحضانها هذا الملك منذ نعومة أظفاره يحدثنا الدكتور رأفت عبد الحميد قائلاً: (إنه بمولده ونشأته الأولى كان وثنيًا، وذلك بحكم بيئته التي شب فيها، فوالداه يحملان نفس العقيدة، وإن كان أبوه قد لجأ إلى صورة التوحيد الوثني حيث كان من عباد إله الشمس) [٢٧].

---

(٢٣) ابن البطريق ١ / ١٢٦.

(٢٤) قصة الحضارة ج ٣ من المجلد الثالث ص ٣٧٢، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران.

(٢٥) الدولة والكنيسة ٢ / ١٢٠، د. رأفت عبد الحميد، ط دار المعارف.

(٢٦) قصة الحضارة ج٣ من المجلد الثالث ص ٣٧٢.

(٢٧) الدولة والكنيسة ٣ / ٣٧٢.

هذا هو قسطنطين، وهذه هي نشأته وثقافته وعقيدته الأولى، وهي أمور لابد من الوقوف عليها عند التعرض لهذا الملك الذي تدين بعقيدته اليوم الملايين من البشر المسيحيين. فهل كان هذا الرجل مسيحيًا؟ وهل حقًا تخلص من وثنيته؟

قضية دخوله المسيحية:

(لم يختلف الدارسون في شيء كاختلافهم حول مسيحية قسطنطين، فقد أعلن هذا الرجل دخوله المسيحية وابتعاده عن الوثنية في خريف عام ٣١٢م، ولم يكن ذلك الاهتداء - كما يقول يوساب - على يد بشر، ولكن لرؤيا منامية بشره فيها المسيح، وأعطاه الصليب كشارة له ولجنوده)[٢٨].

وما أكثر الرؤى المنامية في المسيحية: (ومع ذلك فلمً يستطع قسطنطين أن يتخلص من وثنيته القديمة والدليل على ذلك أنه في سنة ٣٢١م قرر جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً وسماه يوم الشمس، مؤكداً بذلك قدسيته للشمس، وظلت المعابد الوثنية في عهده مفتوحة للعبادة العامة في نفس الوقت الذي أصدر فيه مرسومين ضد بعض الفرق المسيحية التي كانت تنعتها الكنيسة بالهرطقة مخافة الانقسام في الدولة [٢٩]، وهذه الأمور هي التي جعلت ول ديورانت يتساءل قائلاً: (ترى هل كان قسطنطين حين تحول إلى المسيحية مخلصًا في عمله هذا؟ وهل أقدم عليه عن عقيدة دينية؟ أم كان هذا العمل حركة بارعة أملتها حكمته السياسية [٣٠]، ثم يجيب الرجل قائلاً: (أكبر الظن أن الرأي الأخير هو الأصوب) [٣٠].

ونحن نرى مع ديورانت أن هذه الإجابة قد حالفها الصواب وصادفها

(٢٨) راجع المصدر السابق ٢ / ٩٥. (٢٩) المصدر السابق ٢ / ١٣٠ ، ١٣١.
(٣٠) قصة الحضارة ج ٣ من المجلد الثالث ص ٣٨٧.

الواقع العملي الملموس لهذا الملك الذي قد أحاط نفسه بجماعات من الفلاسفة الوثنين وقلما كان يخضع لما تتطلبه العبادة المسيحية من شعائر وطقوس، ولم يكن يتردد في القضاء على الانشقاق؛ محافظة على وحدة الإمبراطورية، وكان يعامل الأساقفة على أنهم أعوانه السياسيون، ورأينا ذلك واضحًا داخل مجمع نيقية الذي أصدر العقيدة الجديدة للملأ، (ولو كان قسطنطين مسيحيًا حقًا لكان مسيحيًا أولاً وحاكمًا سياسيًا ثانيًا، ولكن الآية انعكست كما يقول صاحب قصة الحضارة فكانت المسيحية وسيلة لا غاية)[٣١] .

ويقول المؤرخ أبو سيبوس الذي تقدس كلامه الكنيسة وتسميه سلطان المؤرخين: (إن قسطنطين عُمِّدَ حين كان أسير الفراش، وأن الذي عمده ذلك المؤرخ وكان له صديقاً، والتعميد ـ كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة ـ هو إعلان دخول المسيحية)[٣٢] . وبناء عليه يتضح أمامنا أن هذا الملك لم يكن في مقدوره أن يتخلص من وثنيته حتى آخر لحظة من حياته، ويوم أن تصدى لرئاسة المجمع كان بهذه الوثنية يدين، ولذلك لم ير حرجًا في طرد الموحدين واحتضان من يقول بتأليه المسيح، لأن آراءهم إلى قلبه أقرب، وهذه نقطة مهمة في حياة هذا الرجل الذي ترك بصمات واضحة على المسيحية لابد للنصارى من معرفتها حتى يمكنهم إدراك حقيقة ما به يدينون .

ثانيًا: نظرة إلى الفقرات التي احتوت عليها العقيدة الجديدة:

والناظر إلى فقرات هذه العقيدة يدرك من أول وهلة الجهود المضنية التي بذلها المجمع للوصول إلى هذه العقيدة لكي يجعل فقراتها مقدسة، ومع أن الأناجيل وملحقاتها[٣٣] لم يرد فيها نص أو قرار كهذا إلا أن

(٣١) قصة الحضارة ج٣ من المجلد الثالث ص ٣٨٧ . (٣٢) محاضرات في النصرانية ص ١٢٨ .
(٣٣) يقصد بها الرسائل .

الحاضرين حاولوا ألا يأتوا بكلمة من عندهم حتى لا يكون هناك اعتراض لمعترض، أو حجة لمخالف فاقتربوا من الأناجيل والرسائل، وأخرجوا إلينا هذه الفقرات على النحو الآتي :

(نؤمن بإله واحد) جاءت من إنجيل (يوحنا ١٧/ ٣)

(أب) ،، الرسالة الأولى لأهل تسالونيكي ٣ / ١١

(ضابط الكل) جاءت من إنجيل (متى ١٠/ ٩، ٣٠).

(خالق السموات والأرض ما يُرى وما لا يُرى) ،،،،،، ،، ١١/ ٢٥،خروج ٢٠/ ١١

(نؤمن برب واحد) جاءت من العبرانيين ١/ ٨ والرؤيا ١٩ / ١٦

(يسوع المسيح) جاءت من (العبرانيين ١٣ / ٨)

(ابن الله الوحيد) ،، (يوحنا ٣/ ١٦)

(المولود من الأب قبل الدهور) ،، (ميخا ٥/ ١٦)

(نور من نور) ،، (عبرانيين ١ / ٣)

(إله حق) ،، (يوحنا ٥/ ١١)

(من إله حق) ،، (،، ١٧/ ٥)

(مولود غير مخلوف) ،، (،، ٥ / ٢٦)

(مساو للأب في الجوهر) ،، (،، ١٠ / ٣٠١)

(الذي به كل شيء) ،، (،، ١ / ٣)

(هذا هو الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاص نفوسنا) ليس له سند من نصوص العهد الجديد، وإنما وضع بمعرفة المجمع .

(ونزل من السماء وتجسد) جاء من (يوحنا ١/ ١٤ وعبرانيين ١ . ٥/)

(من الروح القدس ومريم العذراء) ،، ،، (لوقا ١ / ٣٥)

(وتأنس) ،، ،، (يوحنا ٨/ ٤٠)

(وصلب على عهد بيلاطي النبطي) ،، ،، (يوحنا ١٩/ ١٩)

(وتألم) ،، ،، (من الرسالة الأولى لبطرس ١/ ١١)

(وقبر) ،، ،، (أشعياء ٥٣/ ٩، ومن متى ٢٧ / ٦٠)

(وقام من بين الأموات في اليوم الثالث كما في الكتب)، (من سفر الرؤيا ١٤/ ١٤، والرسالة الأولى لكسورتنوس ١٥ / ٢).

(وصعد إلى السموات) (لوقا ٢٤ / ٥١)

(وجلس عن يمين أبيه) (مرقس ١٦/ ١٩)

(وأيضا يأتي في مجده) من (متى ٢٥ / ٣١)

(ليدين الأحياء والأموات) ،، (الأولى عبرانيين ١٠ / ٤٢)

(الذي ليس لملكه انقضاء) ،، (لوقا ١ / ٣٣)

هذه هي العقيدة الجديدة قبل تطويرها وما احتوت عليها من فقرات (ونود أن ننبه أن هذا التخريج ليس من عندنا، وإنما هو كما خرج عليه المؤتمرون قرارهم وقدموه محمولاً بين يدي هذه المذكرة الإيضاحية) (٣٤).

والناظر إلى هذه العقيدة يرى أنها جاءت من أودية مختلفة وفي مقالات متباينة وفي أحوال متغايرة لا يجمع بينها حال أو مقام، وإن كانت

(٣٤) راجع في ذلك كتاب مناظرة بين الإسلام والنصرانية ، ط المملكة العربية السعودية الرياض ٢٠٧ ، ٢٠٨، وكتاب المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل، للأستاذ عبد الكريم الخطيب ص ٢٤٩ ، ٢٥٠ .

مسطورة في الأناجيل والرسائل والأسفار القديمة، ثم هي مع هذا أشلاء ممزقة قد انتزعت انتزاعًا من أصولها، ثم ضرب بعضها ببعض، فكانت هذا الكائن العجيب من أكوان النظم الكلامي، ونستطيع أن نتخذ من هذا القرار وفقراته المبعثرة وثيقةً تاريخيةً تدل على ما يلي:

أولاً: أن الصورة التي رسمها القرار لألوهية المسيح ينقصها الوجه الثالث من وجوه التثليث، وهو الإيمان بالروح القدس.

ثانيًا: أن التثليث المسيحي لم يكن معروفًا إلى سنة ٣٢٥ م من ميلاد المسيح، ولم يعترف المؤتمر المنعقد في هذا العام بغير الأب والابن.

وفي ذلك يقول الدكتور محمد جميل غازي: (إنه إلى ذلك الحين لم يكن المسيح قد دخل ببنوته في شركة مع الله على هذا النحو الذي يجعل منه " الله " مندمجًا في أقنومية الآخرين؛ الأب وروح القدس، وغاية ما كان يتصور في هذه البنوة أنها فرع من أصل، وأنها إن دانت لإله فلن تكون هي الإله) (٣٥)

ثالثًا: إن العقيدة الجديدة الصادرة عن المجمع أعلنت بكل صراحة أن الله الأب هو خالق السموات والأرض، أما الابن فلا دخل له في هذا الخلق، ولكن المسيحية بعد هذا أصبحت تدين بأن الله الأب لم يخلق شيئًا، أما الابن فهو الذي قام بعملية الخلق ـ وسنوضح هذه المسألة إن شاء الله عندما نتعرض لأعمال الثالوث ـ، وبناءً على هذه الأمور الثلاثة يمكننا القول بأن مسيحية التوحيد مازال أصلها ثابت وفرعها في السماء، أما مسيحية التثليث فقد بقيت إلى ما بعد منتصف القرن الرابع غير مكتملة في حقيقتها، ومازال الموقف من المسيح متأرجحًا مضطربًا بين القول بالإله

(٣٥) من مقالة د. محمد جميل غازي في كتاب المناظرة بين الإسلام والنصرانية ص ٢٠٨، ٢٠٩.

والقول بالإنسان، ولسد هذه الفجوة العميقة التي تتذبذب فيها شخصية المسيح عند النصارى المؤلهين كان عليهم أن يبادروا بعقد مجمع آخر مقدس من خلاله تحدد ملامح الصورة وتكتمل سطور العقيدة. وقبل أن نتعرض لهذا المجمع نعود إلى إجابة السؤال الذي عرضناه سابقًا وهو يستفسر عن موقف الموحدين إزاء العقيدة الجديدة.

المبحث الثاني

موقف أصحاب عقيدة التوحيد من قرار الألوهية

إن الوحدانية التي حاول رئيس مدرسة الإسكندرية اثناسيوس وبجواره الإمبراطور الوثني قسطنطين إزهاق روحها والقضاء على أتباعها قدر لها الحق أن تظل حية قوية في قلوب الكثيرين، (فقد كانت كنيسة أسيوط ـ كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة ـ على رأي أريوس زعيم الموحدين، وكان على رأس هذه الكنيسة ميلتوس، وفي الإسكندرية التي شبت فيها فكرة التأليه كان لآريوس العدد الوفير من الأنصار الموحدين، وكان هؤلاء كثيرين ـ من حيث العدد ـ وأقوياء ـ من حيث المجاهرة ـ بما يعتقدون كما كان لهذا الرأي أيضًا مشايعون في فلسطين ومقدونية والقسطنطينية) [٣٦].

ويوم أن أعلن قسطنطين ألوهية المسيح بكل صراحة وأمر بنفي أريوس وإحراق كتبه أعلن الكثيرون من القساوسة اعتراضَهم على هذا الرأي ليس في هذه البلاد فحسب بل في كثير من البلاد الآسيوية، (حيث أظهر بعضهم ـ كما يقول ول ديورانت ـ عطفًا على أريوس، واختلفت آراء رجال الدين والدنيا في الولايات الآسيوية، وترددت في المدائن أصداء الضجيج والاضطراب. . . حتى كان الدين المسيحي ـ كما يقول يوسيبوس: (مؤرخ وعالم مسيحي معاصر للجميع) ـ موضوع السخرية من الوثنيين حتى في دور التمثيل نفسها) [٣٧].

وبهذا نعلم أن عدد الموحدين في كافة الأقطار ليس بالعدد اليسير، وكذلك كان الحال داخل المجمع، وفي عقبه. ولا يتمثل سبب انتشار رأي

---

(٣٦) محاضرات في النصرانية ص ١٢٣ . بتصرف.

(٣٧) انظر قصة الحضارة ج٣ من المجلد الثالث ص ٣٩٣، ول ديورانت.

الموحدين في العطف والشفقة على أريوس كما قال ديورانت، بل في قوة الدليل، وقوة تصور العقيدة، وقوة الاقتناع بها، وسهولة دخولها إلى العقل واستساغه لها، ولذلك لم يكن في مقدور اثناسيوس ـ المؤيد بمرسوم ملكي ـ القضاء على عقيدة الوحدانية، بل ربما كانت المحاولة للقضاء عليها سببًا في شدة الاستمساك بها والمبالغة في المحافظة عليها مما يراد بها، ومن ثم نشط الموحدون في كل مكان ضد عقيدة الشرك، وقاموا بعقد عدة مجامع كان الهدف من ورائها إلغاء القرار النيقوي، وعزل اثناسيوس الذي تزعم الموقف في مجمع نيقية، وكان أحد الأسباب في إقرار هذه العقيدة. كما قاموا بسن عدة قوانين إيمانية تخالف قانون الإيمان، النيقوي وتقف مع مبدأ التوحيد وهذه المجامع هي: -

١) مجمع صوْر ٣٣٥ م. ٢) مجمع إنطاكية الأول ٣٤١م.

٣) مجمع سيرميوم ٣٥٧م. ٤) مجمع ريمني وسلوفية ٣٥٩م.

٥) مجمع إنطاكية الثاني ٣٦١م. ٦) مجمع القسطنطينية ٣٦١م.

وكانت هذه المجامع بمثابة رد فعل عملي ضد من قال بغير التوحيد وهذه هي:

خطوات الموحدين في المجامع

أولاً: مجمع صوْر يرفض بالإجماع عقيدة الشرك سنة ٣٣٥م:

لم يستسلم الموحدون إلى العقيدة الجديدة التي أصدرها مجمع نيقية، (ولكنهم صمموا على المقاومة حتى استطاعوا في عام ٣٢٨ جعل الإمبراطور يعيد أريوس وأشياعه إلى كنائسهم، في ذلك الوقت كان اثناسيوس قد تولى كرسي كنيسة الإسكندرية)[٣٨]، ولما كان هذا الرجل هو المتزعم للمعتقد القائل بألوهية المسيح بعد الكسندروس كان من الطبيعي أن

(٣٨) طائفة الموحدين من المسيحيين عبر القرون ص ٢١، مهندس أحمد عبد الوهاب.

تشتد الأزمة بينه وبين الموحدين، (الأمر الذي جعل الإمبراطور قسطنطيوس ابن الإمبراطور قسطنطين السابق لم ير أمامه من حل سوى عقد مجمع من الأساقفة كما يقول القس سليم سليمان في قيسارية عام ٣٣٤م، ودعا اثناسيوس للاشتراك فيه، فلم يحضر، وأخيراً قرر الإمبراطور قسطنطيوس عقد مجمع في صور ٣٣٥، وحتم على اثناسيوس حضوره فحضر، وكذلك حضره كثيرون من الأساقفة الذين حضروا مجمع نيقية المسكوني الأول)[٣٩]، وكان من بينهم أوسابيوس الموحد، أسقف نيقوميدية الذي ذكر عنه ابن البطريق أنه انتهز فرصة ذلك الاجتماع وأثار مقالة أريوس ورأيه في المسيح وإنكار ألوهيته وكان بجواره الكثيرون من الموحدين المتمسكين بعقيدتهم، واشتد النقاش بين رئيس كنيسة الإسكندرية وبين المجتمعين، ولم يكتفوا بالنقاش القولي، بل امتدت الأيدي إلى بطريك الإسكندرية، وعمدت إلى رأسه لإخراج الوثنية منها فضربوه حتى أدموه، وكادوا أن يقتلوه لولا تدخل ابن أخت الملك الذي كان حاضراً ذلك الاجتماع [٤٠]، ثم اختتم المجمع جلساته (وأصدر المجتمعون قراراتهم بخلع اثناسيوس من منصبه وقبول المليتين طائفة من النصارى تؤيد رأي أريوس وأتباعه ـ في الكنيسة، وقد أعدوا العدة لدفن قرارات مجمع نيقية) [٤١]، والعودة بالمسيحية مرةً أخرى إلى عقيدة التوحيد على أيدي الأريوسيين.

ثانياً: الموحدون داخل مجمع إنطاكية عام ٣٤١ م:.

(ثم اشتد نفوذ الموحدين في عهد قسطنطيونس الذي وافق على طلبهم

(٣٩) مختصر تاريخ الأمة القبطية ١ / ٤٦، تأليف القدس سليم سليمان، دار الكتب تحت رقم ٢٣٥.
(٤٠) راجع في ذلك تاريخ ابن البطريق ١ / ١٣١، محاضرات في النصرانية ص ١٣٠.
(٤١) مختصر في تاريخ الأمة القبطية ١ / ٤٦، وكتاب الدولة والكنسية ٢ / ٢٤١، د. رأفت عبد الحميد.

بتعيين جريجوريوس أسقفًا على الكرسي الإسكندري، وقد اضطر اثناسيوس إلى الهرب إلى روما عام ٣٤٠ م)[٤٢].

ويذكر الأستاذ كامل نخله: (أن الامبراطور قسطنطيوس، خضع إلى رأي أخيه قسطنس وحكم بإعادة اثناسيوس إلى الكنيسة مرة أخرى، وأخذ يدعو بين الناس بتعاليمه التي تنحصر في ألوهية المسيح (والتي لا تتفق مع العقل والمنطق)، مثل قوله: الأب إله، والابن إله والروح القدس إله ولكن ليسوا ثلاثة آلهة، بل إله واحد، كذلك الأب رب، والابن رب والروح رب ولكنهم ليسوا ثلاثة أرباب بل رب واحد، لهذا في جميع الأمور المذكورة ينبغي أن يعبد الثالوث في وحدانية، والوحدانية في ثالوث، فمن أراد أن يخلص فعليه أن يعبد الثالوث هكذا بالثالوث)، عندئذ اجتمع في إنطاكية سبعة وتسعون أسقفًا وسنوا مجموعة من القوانين تتفق مع التعاليم الآريوسية، وترفض أفكار اثناسيوس الوثنية والتي لا تخضع لأي منطق سليم.

ثالثًا: الموحدون في مجمع سرميوم ٣٥٧م:

وفي عام ٣٥٧م عقد الآريوسيون ـ كما يقول الأستاذ كامل نخلة ـ : (مجمعًا في مدينة سرميوم في جنوبي فرنسا برئاسة الأسقفين الغربيين أورزاس وفالانس، وحضره الإمبراطور قسطنطيوس بنفسه، وقد وضع ذلك الجمع صورة إيمان جديدة أنكر فيها مساواة الابن لأبيه في الجوهر)[٤٣]. وما ساقه الأستاذ كامل نخلة هنا يدل على أمرين:

الأول: أن عصا الموحدين كانت ثقيلة آنذاك وأصواتهم كانت مرتفعة، الأمر الذي أقلق الإمبراطور، وجعله يحضر هذا المجمع ولعقيدتهم ينصت ويستمع.

(٤٢) طائفة الموحدين ص ٢٥ ـ أحمد عبد الوهاب.
(٤٣) تاريخ اثناسيوس ص ٨٣.

الثاني: أن هؤلاء كانوا يعترفون بأن الله جوهر ولذلك أنكروا مساواة الابن لأبيه في الجوهر، ومع أننا سنناقش هذه القضية فيما بعد إلا أننا ننبه أن هؤلاء الموحدين لم يطلقوا على الله هذا الاسم في يوم ما؛ لأن المسيح عليه السلام لم يقل إن الله جوهر، وهم على درب المسيح يسيرون، وحسبنا أن الكاتب نفسه ممن يؤمن بفكرة الجوهر التي تطلق على الله تعالى. ونكتفي هنا بتتبع خطوات الموحدين في المجامع.

رابعًا: إعلان لواء التوحيد في المسيحية بعد مجمعي ريمني وسلوقيه ٣٥٩:

ولما ازدادت صيحات الموحدين النابعة من الفطرة بعقيدة لا إله إلا الله وعيسى رسول الله في العالم المسيحي بأسره تحرك الإمبراطور قسطنطيوس ـ كما يقول صاحب تاريخ اثناسيوس ـ لتهدئة الأوضاع واستقرار الأمور (فعقد سنة ٣٥٩م مجمعين؛ أولهما في مدينة رمني وخصه بالغربين، والثاني في مدينة سلوقيا بسوريا، وحضره من أساقفة مصر الآريوسين عشرة وخصه بالشرقيين، ولقد أسفر كلا المجمعين عن قرارات تؤيد الآريوسية كل التأييد... وهكذا باتت الكنيسة الغربية كلها آريوسية)[٤٤].

ومعنى هذا أن قرارات مجمع نيقية التي تحمل عقيدة الشرك أخذت تُلقَى خلف الظهور بفضل الموحدين الذين انتشروا في العالم كله، ولذلك يقول القس سليم سليمان: (إن مجمع ريمني قد تسبب في تحريف قانون

(٤٤) تاريخ اثناسيوس ص ٨٤، كامل صالح نخله.

الإيمان النيقوي، وجر الهرطقة الأريوسية على العالم بأسرة)[٤٥]. وأقول لهذا القس أنك صَدَقْتَ حين قلت إن الموحدين قد استولوا على العالم بأسره؛ لأنهم مؤيدون بالمنطق السليم والعقيدة الصحيحة، وكذبت حين سميتهم هراقطه؛ لأن معنى هذه الكلمة أنهم زائغون عن طريق المسيح، ومبتدعون لأقوال تخالف أقوال الأنبياء، وهذا هو ما ينطبق عليكم أهل الثالوث لا عليهم.

خامسًا: الموحدون في مجمع إنطاكية الثاني ٣٦١م:

ولتثبيت قرارات مجمعي ريمني وسلوقية قام الموحدون في إنطاكية ٣٦١م بعقد مجمع للأساقفة لطمس عقيدة الشرك، وعن الذي دار في هذا المجمع يحدثنا صاحب كتاب «مختصر تاريخ الأمة القبطية» قائلاً: (لقد حقق الأريسيون نجاحًا كبيرًا في هذا المجمع، وصاغوا قانونًا إيمانيًا ينص على أن الابن غريب عن أبيه مختلف عنه في الجوهر والمشيئة)[٤٦]. كما قام الموحدون بنشر هذا القانون في جميع الكنائس بعد أن تمت لهم الرئاسة على جميع الكنائس في العالم بمقضي قانون مجمع ريمني ٣٥٩م.

سادسًا: قرارات الموحدين في المجمع القسطنطيني الأول ٣٦١م:

والمتتبع لتاريخ المجامع في المسيحية يرى أن الكثير من الباحثين يطلقون على المجمع المنعقد في القسطنطينية ٣٨١م: المجمع القسطنطيني الأول. وهو إطلاق أخذه الكتّاب المسلمون من النصارى، علمًا بأن هناك مجمع عقد عام ٣٦١م في القسطنطينية ـ والذي نحن بصدد الحديث عنه ـ أخفت الأقلام المسيحية الكثير من قراراته، ويكمن ذلك من وجهة نظرنا في أن

(٤٥) مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٣٦٣، القس سليم سليمان.
(٤٦) مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٤٦٣، القس سليم سليمان.

هذه القرارات كانت على يد الموحدين ومن ضمنها قراران هما من أهم القرارات التي تفيد البحث العلمي ضد المسائل العقدية في المسيحية المَزيفة.

القرار الأول: تثبيت قرارات مجمع إنطاكية المنعقد عام ٣٦١م، والتي تنص على أن الابن غريب عن أبيه مختلف عنه في الجوهر.

القرار الثاني: وضع الموحدون سبعة عشر قانونًا إيمانيًا أبعدت النصارى عن قانون الإيمان النيقوي، وعن هذين القرارين يتحدث القس سليم قائلاً: (ولقد شجع الظفر الأريسيين فعقدوا مجمعًا آخر في إنطاكية ٣٦١م، أمضوا فيه سورة إيمان جديدة تعلم أن الابن غريب عن أبيه، مختلفٌ عنه في الجوهر والمشيئة، وقد تثبتت هذه العقيدة الكفرية في مجمع انعقد بالقسطنطينية في نفس تلك السنة ثم انتشرت في أنحاء العالم، وهكذا وضع الأريسيون سبعة عشر قانونًا للإيمان، أبعدتهم عن الحقيقة الأرثوذكسية المسطرة في قانون الإيمان النيقوي)[٤٧].

وكنا نود من هذا القس الذي يسجل لنا قلمه عداءه الشديد للموحدين، خاصةً حينما سمى عقيدة التوحيد التي يحملونها وعنها يدافعون عقيدة كفرية أن يسجل لنا بقلمه أيضًا السبعة عشر قانونًا بتفصيلاتها حتى نعرف ما هي، ولكن الرجل لا يذكر هذه القوانين إلا على سبيل الإجمال، ويشايعه في ذلك الأستاذ كامل نخلة[٤٨] فيذكر العدد إجمالاً لا تفصيلاً.

ولا نرى قلمًا واحدًا يفصح عن هذه التفصيلات في كافة المكتبات المسيحية في مصر)[٤٩]

(٤٧) مختصر تاريخ الأمة القبطية ص ٤٣٦، القس سليم سليمان.

(٤٨) راجع تاريخ اثناسيوس ص ٨٨، كامل صالح نخلة.

(٤٩) راجعنا في ذلك على سبيل المثال - مكتبة دار الكتب، ومكتبة كنيسة الفرنسكاني، ومكتبة دير الآباء الدونيمكان بالقاهرة.

وقفة للمراجعة والتقرير

إن حق لنا أن نقف قليلاً لمراجعة العقائد المسيحية في تلك الفترة الحاسمة، والتي استغرقت أكثر من النصف الأول للقرن الرابع الميلادي، والتي انعقد خلالها عدد ليس بالقليل من المجامع المسيحية لحسم الصراع الدائر بين الموحدين والقائلين بألوهية المسيح كان علينا أن نقرر الآتي:

أولاً: إن عقيدة التوحيد التي حمل لواءها الأريسيون عقيدة قديمة قدم المسيحية، وهي تتلخص ببساطة شديدة في أن الله تعالى واحدٌ أحدٌ، لا شريك له ولا ولد، وأن المسيح مخلوق غير أزلي صاحبته النعمة الإلهية. وهي عقيدة سهلة واضحة لا التواء فيها ولا تعقيد، بعكس عقيدة الشرك التي نادى بها المجمع النيقوي، وصاح بها اثناسيوس داخل وخارج المجامع المختلفة.

ثانيًا: إن إثناسيوس هذا ـ والذي (يرجع إليه الفضل كما يقول ديورانت إلى تمسك الكنيسة بعقيدة التثليث وألوهية المسيح[٥٠]) ـ هو ثالث ثلاثة قاموا بخراب العقيدة المسيحية الصحيحة بعد بولس وقسطنطين، بل هو رأس الأمر كله، وتذكر عنه المصادر المسيحية بأنه كان بطريكًا لكنيسة الإسكندرية، وكانت الإسكندرية في يوم ما تتغنى شعابها بفلسفة التثليث القائلة: (بأن العالم يوجد في قمته ثلاثة أشياء هم الواحد والعقل والنفس) [٥١]، والتي عبر عنها اثناسيوس بالأب و الابن والروح القدس، ومعنى هذا أن ذلك الرجل يوم أن نصب نفسه محاميًا لألوهية المسيح لم يكن حماسه هذا ناجمًا عن حبه للديانة المسيحية، بل عن عشقه لفلسفة الإسكندرية، وهذا هو المفتاح الحقيقي لعقيدة هذا الرجل الذي يدين له أهل الثالوث بالفضل والمنة.

(٥٠)قصة الحضارة ج٤ من المجلد الأول ص٢٠ . (٥١) تاريخ الفلسفة ص ٦٥ ، د. إبراهيم مدكور.

ثالثًا: إن الموحدين عقب مجمع نيقية ومن قبله لم يكونوا في قلة، بل كانوا هم الأكثرية الواضحة في كل المؤتمرات وأصحاب الكلمة الصادقة في كافة الجلسات؛ ولذلك كانت دائمًا، أبدًا آذان الجماهير لهم صاغية، وقلوبها لعقيدتهم واعية، وقد تنبه الموحدون إلى هذا الأمر، فتعقبوا اثناسيوس في كل مكان وبارزوه بالفكر في كل ميدان، ويوم أن رأوا أن آذان الملوك بدأت تنصت إلى آرائه وتميل قلوبهم إلى عقيدته، زلزلوا الأرض تحت أقدام الملوك وقاموا بصحبة الجماهير الموحِّدة بعقد عدد وفير من المجامع كانت بدايتها في صور سنة ٣٣٥م. وفيه رأينا مدى القوة التي يتمتع بها هؤلاء الموحدون، الأمر الذي جعل الإمبراطور يخضع لقراراتهم، وينفي إثناسيوس خارج الدولة المسيحية، ويتولى كرسي كنيسة الإسكندرية جريجوريوس الموحد، (بل يصل الأمر إلى أن كثيراً من الكنائس الأخرى ـ كما يقول الشيخ محمد أبو زهرة ـ كان عليها رؤساء موحدون يتمسكون بالتوحيد ويحثون عليه، وكلما ولي أثقف غير موحد ثاروا عليه وهموا بقتله) [٥٢]. ثم أكد هؤلاء الموحدون قوتهم في مجمع إنطاكية ٣٤١م، وسنوا حشداً هائلاً من القوانين التي تحطم عقيدة الشرك، وبعد ذلك تجولوا في أنحاء أوروبا فعقدوا في فرنسا ٣٥٧م مجمع سرميوم، والذي كان من أهم قراراته مخالفة الابن للأب في الجوهر، ولما غفل الملوك فترة عن قراراتهم صاحوا وهاجوا في كافة أقطار العالم يرددون لا إله إلا الله عيسى رسول الله، وعلى هذه الصيحات استيقظ قسطنطينوس الملك فعقد مجمعي ريمنى وسلوقية، وما هي إلا سويعات معدودة من عقد هذين المجمعين حتى سادت كنائس العالم عقيدة التوحيد بفضل هؤلاء الموحدين.

---

(٥٢) محاضرات في النصرانية ص ١٣١، الأستاذ محمد أبو زهرة.

ولما كان الحق هو الذي يحرك فقد جمعوا حشودهم في إنطاكية والقسطنطينية ٣٦١م، وقاموا بمظاهرة واسعة النطاق ضد من يقول بألوهية المسيح، ووقتها أعلن الموحدون سبعة عشر قانونًا تخالف بأسرها قانون الإيمان النيقوي. وأمام هذه الانتصارات الزاحفة للموحدين (يقف الملك قسطنطينوس متأملاً في مذهب أريوس وبقية الموحدين ويبحث بنفسه ـ كما يقول صاحب قصة الحضارة ـ بنوة المسيح، ويخرج من هذا البحث معلناً اعتناقه لمذهب أريوس)[٥٣]، ولم يقف الرجل عند هذا الحد فحسب، بل يرى أن واجبه الأدبي يحتّم عليه أن يعرض هذه الآراء على جميع كنائس العالم المسيحي. ولا شك أن اعتناق هذا الملك لعقيدة أريوس ستؤدي إلى ازدياد قوة الموحدين، وقد كان ذلك حقًا، الأمر الذي جعل ول ديورانت يقول: (إنه أتى على المسيحية نصف قرن من الزمان لاح لها فيه أنها ستؤمن بالتوحيد، وتتخلى عن ألوهية المسيح، وقد كان إثناسيوس في هذه الأيام العصيبة يقول عن نفسه إنه يقف وحده في وجه العالم كله)[٥٤].

وأرى أن ما ساقه ديورانت يعني أن المسيحية انقطعت في فترة ما عن التوحيد، ويعني أيضًا أن القول بألوهية المسيح هو الأصل وعقيدة التوحيد هي العارضة. وحسبنا أن الكاتب مسيحي وهو يريد أن يؤيد ما يعتقد.

وأقول: إن عقيدة التوحيد لم تغب عن قلوب العامة أو الخاصة لحظةً واحدةً، ودليلنا على ذلك هذه المجامع التي عقدها الموحدون والتي أسلفنا لها ذكرًا، والكاتب ذاته لم يُنكر أن إثناسيوس كان يقف وحده في وجه العالم كله، وهو الذي ينادي بألوهية المسيح وحده، فهل من المعقول أن

---

(٥٣) انظر قصة الحضارة ج٤ من المجلد الأول ص ٢٠ ، ول ديورانت، ترجمة محمد بدران.
(٥٤) قصة الحضارة ج ٤ من المجلد الأول ص٢٠.

يكون العالم كله قد ذهب فكره وطار عقله وبقي إثناسيوس وحده هو العاقل الوحيد في هذا العالم؟!

ولا يسعني إلا أن أقول: إن عقيدة التوحيد هي الأصل، ولذا بقيت حتى ذلك الحين حيةً قويةً في قلوب الكثيرين، أما ألوهية المسيح فهي العارضة والدخيلة على عقيدة التوحيد.

(المبحث الثالث)

المجمع القسطنطيني الثاني ٣٨١ م وتقرير ألوهية الروح القدس:

لقد أسلفنا الذكر بأن مسيحية التثليث لم يكتمل لها البنيان إلى ما بعد منتصف القرن الرابع الميلادي، وما كان ذلك إلا بفضل مقاومة الموحدين للقرار النيقوي الذي يتضمن إلغاء عقيدة التوحيد وتقرير ألوهية المسيح، أما الروح القدس فلم يكن قد اتخذ في شأن ألوهيته قرار آنذاك، وظل الأمر هكذا مجهولاً حتى قويت شوكة مدرسة الإسكندرية مرة أخرى بفضل الأباطرة، فأبرزت على السطح فكرة ألوهية الروح القدس ليكتمل بها بنيان الثالوث في المسيحية

موقف الموحدين من هذه الفكرة:

ولم يكن الموحدون الذين سهرت أعينهم في حراسة العقيدة التوحيدية في غفلة من الأمر، فتحركوا في كل مكان لهذه الفكرة يرجمون، ولذلك المعتقد عن قلوب الناس يُبعدون، (وقام من بينهم رجلٌ يسمى مقدونيوس يجاهر أمام الملأ بأن الروح القدس ليس بإله، ولكنه مخلوق مصنوع، وشاعت مقالته بين الناس، ولم يجدوا فيها نكراً ولا أمراً لا يقره العقل أو تأباه المسيحية) (٥٥). ويذكر الأستاذ أحمد شلبي أن مقدونيوس لم يكن وحده في الميدان، بل ناصره في ذلك الكثير من القساوسة، من بينهم (الأسقف أوسابيوس، الذي أعلن إنكار وجود الأقانيم الثلاثة، وقال: إن للثالوث ذاتًا واحدةً وأقنومًا واحداً، وكان ذلك الخلاف داعيًا لعقد مجمع جديد يبت في الأمر، فعقد الإمبراطور تشاوديوس الكبير مجمع

(٥٥) محاضرات في النصرانية ص ١٣٢، الأستاذ أبو زهرة.

القسطنطينية ٣٨١م، ولم يحضره إلا مئة وخمسون أسقفًا) [٥٦] . ويذكر صاحب كتاب «النصرانية والإسلام» أن المجمع قرر ما يلي :

١) (حرمان الأسقف مقدونيوس والأسقف أوسابيوس وإسقاط كلاً منهما من رتبته .

٢) تقرير ألوهية الروح القدس . وبذلك اكتمل بنيان الثالوث في نظرهم وصار الأب ويعنون به الله والابن ويعنون به المسيح، ثم الروح القدس وكل من هذه الثلاثة أقنوم (أي شخص) إلهي) [٥٧] .

والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو :

من الذي قرر ألوهية الروح القدس؟

إن ابن البطريق ـ وهو المؤرخ المسيحي المعروف لدى مؤرخي المسيحية ـ هو الذي نصب نفسه للإجابة على هذا السؤال، فذكر أن ثنيموثاوس ـ بطريق الإسكندرية، والذي لم يكن له فضل الصدارة في رئاسة المجمع، بل كان له فضل القيادة في القول والرأي العام؛ بسبب مساندة السلطة الحاكمة آنذاك ـ هو الذي قرر ألوهية المسيح حين قال : (ليس روح القدس عندنا بمعنى غير روح الله، وليس روح الله شيئاً غير حياته، فإذا قلنا إن حياته مخلوقة فقد زعمنا أنه غير حي، وإذا زعمنا أنه غير حي فقد كفرنا به، ومن كفر به وجب عليه اللعن) [٥٨] .

نظرة عاجلة إلى هذه الأقوال:

وبنظرة عاجلة إلى هذه الأقوال نراها عبارة عن ضرب من الهلوسة الفكرية التي لا تصل بالعقل إلى منطقٍ سديدٍ، فضلاً عن عقيدةٍ صحيحةٍ،

---

(٥٦) المسيحية ص ١٥٢ د . أحمد شلبي .

(٥٧) النصرانية والإسلام ص ٤٥، الأستاذ محمد عزت الطهطاوي .

(٥٨) تاريخ أبن البطريق ١ / ١٤٥ .

وما كان ذلك كذلك إلا بسبب أن المقدمة التي ساقها بطريك الإسكندرية والتي تقول بأن روح القدس هو روح الله مقدمةٌ ساقطةٌ خاطئةٌ لا أساس لها من الصحة، ولا يستطيع هو نفسه أن يقيم عليها دليلاً؛ لأن الأمر متعلق بذات الله تعالى، والإنسان حتى يوم الناس هذا لم ولن يستطيع أن يصل إلى معرفة روحه التي بين جنبيه، فكيف استطاع ذلك الرجل أن يرتقي إلى ذات الله تعالى، ويكشف لنا النقاب عن كنهها ويحدد لنا حقيقتها؟ إنْ هذا إلا إفكٌ مفترى.

(والحقيقة السائدة والصحيحة هي أن روح القدس خلقه الله واتخذه ليكون رسولاً بينه وبين من يريد أن يلقي عليه وحيًا من خلقه أو أمرا كونياً)[٥٩]. ولكن المجمع لم يكن ليفكر ولم يجتمع ليناقش، بل ليتخذ قراراً مبيتًا بليل، فيه يعلن ألوهية الروح القدس، ولعْنِ كل موحدٍ يقول بغير ذلك، وسرعان ما اتخذ القرار.

ويقول ابن البطريق في بيان قرار المجتمعين: (زادوا في الأمانة التي وضعها الثلاثمئة والثمانية عشر أسقفًا ـ الذين اجتمعوا في نيقية ـ الإيمان بروح القدس الرب المحيي المنبثق من الأب... وأثبتوا أن الأب والابن وروح القدس ثلاثة أقانيم، وثلاثة وجوه، وثلاث خواص)[٦٠].

ومن كلام ابن البطريق هذا نعلم أن العقيدة المسيحية التي بنيت على الثالوث هي من صنع البشر. والسماء منها براء، و إلا فما معنى قول ذلك الكاتب بأن هؤلاء زادوا في الأمانة؟ إن الزيادة تعني أن هذه الأمانة التي تشيِّد عليها عقيدتهم كانت ناقصة، ثم قدر لها أن تكتمل على يد هؤلاء المجتمعين في القسطنطينية ٣٨١م، وإذا كان الأمر كذلك فما هو حكم من

(٥٩) محاضرات في النصرانية ص ١٣٣.
(٦٠) ابن البطريق ١ / ١٤٦.

وضع أساس هذه الأمانة وهم الثلاثمئة وثمانية عشر رجلاً المجتمعون في نيقية ٣٢٥م؟ إن بطريك الإسكندرية هو الذي يكشف النقاب عن هؤلاء وعقيدتهم في قوله الذي نقله ابن البطريق والذي جاء فيه: (إن من لا يؤمن بكون روح القدس إلهًا يستحق اللعن، ويحكم عليه بالكفر)[٦١]. وهو بهذا ـ في غفلة من أمره ـ يبين أن هؤلاء كفارٌ يستحقون اللعن والطرد.

وأقول إذا كان هؤلاء كفارًا وهم الذين وضعوا لكم اللبنة الأولى للثالوث، والتي تقول بأن المسيح إله فمعنى ذلك أن من يقتدي بهم ويسلم بصحة أقوالهم هو أيضًا في عداد الكافرين، وبذا تكون العقيدة الثالوثية التي أرسيت قواعدها سنة ٣٢٥م في نيقية، وتم بناؤها عام ٣٨١ في القسطنطينية كانت من بدايتها إلى نهايتها تحت رعاية الكفار، والمسيح منهم براء.

والسؤل الذي يطرح نفسه الآن أمامنا هو: ما هي أدلة القوم على ألوهية المسيح والروح القدس؟

(٦١) راجع المرجع السابق ١ / ١٤٥.

المبحث الرابع

ما هي أدلة القوم على ألوهية المسيح والروح القدس؟

يرى بعض المسيحيين أن الذين تم على أيديهم إرساء عقيدة التثليث في القرن الرابع الميلادي كانت لديهم أدلة كافية شافية على ألوهية المسيح والروح القدس سواء من الكتاب المقدس أم من واقع كلام المسيح ومعجزاته ونحن هنا سنذكر بعضها والرد عليها.

أولا: ألوهية المسيح والأدلة عليها:

١) ما ذكره متّى في إنجيله بأن رئيس الكهنة سأل السيد المسيح قائلاً: (أستحلفك بالله الحي أن تقول لنا هل أنت المسيح ابن الله الحي؟ قال له يسوع: أنت قلت) (٦٢).

٢) ما ذكره يوحنا أيضا في إنجيله: (في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله وكان الكلمة الله... كل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان، والكلمة صار جسداً، وحل بيننا، ورأينا مجده مجدا) (٦٣)

٣) ميلاد المسيح بغير أب دليلٌ عندهم أيضًا على ألوهيته، يقول صاحب كتاب «المسيحية في الإسلام»: (اتخذت المسيحية منذ بدأتها الميلاد العجيب للمسيح برهانًا على لاهوته) (٦٤)

٤) معجزات السيد المسيح التي صاحبته في حياته يقول عنها صاحب كتاب «هل تجسد الله؟»: (إنها هي برهان قاطع على ألوهيته) (٦٥). تلك هي

---

(٦٢) إنجيل متى إصحاح ٢٦/ ٦٣ ، ٦٤.
(٦٣) إنجيل يوحنا إصحاح ١/ ١ ، ٣ ، ١٤.
(٦٤) المسيحية في الإسلام ص ١٤٩ إبراهيم لوقا.
(٦٥) كتاب هل تجسد الله ص ٤٠ الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة جاردن سيتي

أهم الأدلة التي على أساسها قرر المجتمعون في نيقية سنة ٣٢٥م ألوهية المسيح، ونبذ عقيدة التوحيد.

نقد ومناقشة هذه الأدلة:

أولاً: بالنسبة لما رواه متّى أو يوحنا لا يمكن أن يساق كدليل على ألوهية المسيح، خاصة إذا علمنا أن هذه الأناجيل هي من صنع متّى أو يوحنا أو من صنع الأجيال المتعاقبة ثم نسبت إليهم، ولا يستطيع النصارى أن يقيموا دليلاً واحداً على أن الصلة بين هذه الأناجيل وإنجيل عيسى، أو بين هذه الأناجيل وأصحابها لم تكن مقطوعة في يوم ما.[٦٦] وبناء عليه فالاعتماد على الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح عمل بعيدٍ عن الصواب، يؤكد ذلك ما ذكره الكاتب الكبير كالزوف Kalthoff الذي نقل إلينا الدكتور أحمد شلبي قوله: (بأن صورة المسيح بكل معالمها وملامحها أعدت قبل أن يُكتَب سطر واحد من الأناجيل، وأن هذه الصورة هي من إنتاج الفلسفة العقلية (الميتافيزيقية) التي كانت إذ ذاك مسيطرة، وكانت آراؤها شائعة، وتكاد تكون عامة أو عالمية)[٦٧]

ثانيًا: وبالنسبة إلى النص الذي ساقه يوحنا في البدء كان الكلمة. . . إلخ فإن دعاة الثالوث يفهمون منه أن الكلمة هي الله، وأن الله هو الكلمة، وأن هذه الكلمة، تجسدت وكانت المسيح، ومن ثم فالمسيح عندهم هو الله.

مناقشة النص ذاته:

ومفهوم هذا النص لا يُسلِّم به على هذا الوجه إلا كل إنسان قد اختل

---

(٦٦) سنعطي فكرة عن هذه الأناجيل حينما نتعرض لمنابع الثالوث في المسيحية إن شاء الله.
(٦٧) المسيحية ص ١٤٧، د. أحمد شلبي.

عقله، فهناك مثلاً:

أ)كلمة (في البدء) أيّ بدء تعني؟ ما حده الزمني؟ وإذا كان له حد زمني فهل يكون له متعلق بالله؟ وهل ذلك يليق بكمال الله الذي لا يحده زمان أو مكان؟.

ب) (وكان الكلمة الله). والكلمة كان في البدء، فهل يعقل عاقل أن لله بدء؟ وماذا كان قبل البدء. إن الله تعالى كما يعرفه كل الموحدين أول بلا ابتداء.

ج) (والكلمة كان عند الله) ماذا تعني كلمة العندية هنا؟ وكيف يتفق أن تكون الكلمة بدءاً يعني الأولية المطلقة ثم توصف بأنها كانت عند الله؟ ثم كيف ترتفع هذه العندية ويكون الكلمة هو الله لا عند الله؟

ومع هذه التناقضات الواضحة لذلك النص اليوحاني والتي بدورها تحطم قرارات المجمع النيقوي فإن هؤلاء يتمسكون بأن المسيح هو الكلمة، وأن الكلمة قد تجسدت ولننظر هذه القضية أيضًا:

المسيح الكلمة وقضية التجسد:

(إن الكلمة التي تعنيها المسيحية هنا ليست من كلمات الله التي خاطب بها أنبياءه أو خلق بها مخلوقاته بل هي ـ كما يقول الأستاذ عبد الكريم الخطيب ـ فكر الله أو عقله، فالمسيح هو منتوج هذه الكلمة، بل هو الكلمة ذاتها حل في جسد بشري، اتخذ من عذراء طاهرة وتجسد فيها)[٦٨]. والسؤال الآن لماذا دعي المسيح (كلمة الله)؟ يقول القسيس منصور ـ صاحب رسالة التثليث والتوحيد ـ مجيبًا: (وقد دعي المسيح كلمة

(٦٨) المسيح في القرآن والتوراة والإنجيل ص ١٤٦، الأستاذ عبد الكريم الخطيب.

الله استعارةً وتشبيهًا بالكلمة التي نتفوه بها وقت التكلم والكلمة هي :

أولاً : إعلان المتكلم (أي إظهارها) ؛ لأنها ترجمان أفكاره وتبيان مقاصده ودليل على سجاياه ، فكذلك المسيح هم إعلان الله للناس وبدونه لا نعرفه .

وثانيًا : هي قوة المتكلم ، فكذلك المسيح هو قوة الله الذي به خلق العالم .

وثالثًا : الكلمة هي ذات وجود دائم ملازم للعاقل الناطق فكذلك المسيح موجود أزليًا مع الأب ، لذلك لقب بكلمة الله) .(٦٩)

وأقول للقس يسي منصور صاحب هذه الأقوال إن سياقك لا أساس له من الصحة ويوم أن نقارن بين كلام الله وكلام البشر فاعلم أن ذلك تجديف في حقه تعالى ؛ لأنه يؤدي إلى الخلط بين المخلوق والخالق ، وإذا كنت تقول بأن الكلمة هي إعلان عن المتكلم وترجمة لفكره فاعلم أن هذه الكلمة عبارة عن كيان منفصل عن ذات المتكلم ، فالمتكلم شيء والكلمة شيء آخر ، وواقع الحال يشهد بصحة ما نقول وفساد ما تقول . وقولك بأن الكلمة هي قوة المتكلم لأن إرادته تنفذ بتأثيرها لا يؤدي أيضًا إلى كون الكلمة هي الذات بدليل أن من ينفخ في المصباح ليطفئه لا يقال عنه بأن نفخته هذه هي ذاته حتى وإن كانت هذه النفخة هي القوة التى نفذت بها إرادته ، والخطأ الظاهر قول ذلك القس بأن الكلمة هي ذات وجود دائم ملازم للعاقل الناطق ؛ لأن ذلك لا دليل عليه ، والصواب يتمثل في كون الكلمة عمل متخلق من إرادة الإنسان يستدعيها فتستجيب له ، وليست ذاتًا حالَّة فيه ومتلبسة به ، وإلا لحصل كون وجود ذاتين في ذات واحدة ، وبناء على ما سبق يتبين لنا أن كلمة الله ليست هي الله .

(٦٩) رسالة التثليث والتوحيد ص ١٧٤ .

هذا والقرآن الكريم حين ذكر كون المسيح كلمة الله لم يقصد مقصد النصارى، وإنما كونه خلق بكلمة الله كسائر المخلوقات، وقد تعرض الشيخ محمد رشيد رضا إلى تفسير قوله تعالى ﴿ **إن الله يبشرك بكلمة منه** ﴾ قائلاً (بأن المراد بالكلمة كلمة البشارة لأمه وهي كقول القائل: ألقى إلي فلان كلمة سرني بها، بمعنى أخبرني خبراً فرحت به)[٧٠]. ويقول فضيلة الشيخ الشعراوي (إن البشارة كانت بالكلمة لأن الله تعالى يزاول سلطانه في الملك بالكلمة؛ لا بالعلاج)[٧١]. وبناء على ذلك فالكلمة قد تطلق على بشارة المسيح لمريم بالميلاد، وقد تطلق على المسيح ذاته كخلق من الله تعالى، ولا يصح مطلقاً القول بأن المسيح الكلمة هو الله. وأصحاب المسيحية الأولى الذين وجدوا قبل مجمع نيقية ومنهم القديس إثناسيوس المولود سنة ٢٩٧م كانوا يتصورون الكلمة بأنها مخلوقة لا خالقة، يقول هذا القديس: (وعندئذ يمكننا أن ندرك أن تجديد الخليقة كان من عمل نفس الكلمة التي خلقها الله في البداية)[٧٢]، وصريحُ هذا النص ينطق بأن الكلمة مخلوقة لله كسائر كلماته، جل في علاه.

ومع ذلك قالوا بأنها هي الله متجسد في المسيح، ولنناقش الآن

قضية التجسد:

ونسأل: لماذا تجسدت هذه الكلمة بالذات في شخص المسيح وما هي غاية هذا التجسد؟ يحاول العقل المسيحي الذي ألَّه المسيح الإجابة على هذا السؤال قائلاً: (لم تكن غاية الله من التجسد أن يوفر الفداء لبني البشر

---

(٧٠) انظر تفسير المنار ٣/ ٢٥٠ الشيخ محمد رشيد رضا.

(٧١) مريم والمسيح ص ٣٦، فضيلة الشيخ محمد متولي الشعراوي.

(٧٢) تجسد الكلمة ص ١٨ للقديس إثناسيوس الكبير، تعريب مرقس داود، الكنيسة الأسقفية.

فحسب، بل ليعلن عن ذاته للبشر بصورة أكثر كمالاً)[٧٣] ويقول القس يسي منصور: (والمسيح هو إعلان الله للناس وبدونه لا نعرفه)[٧٤].
وبذلك نعلم أن السبب الأساسي الذي به تجسدت الكلمة هو إعلان الله تعالى عن ذاته، أما الغاية الكبرى فهي الفداء من الخطيئة التي وقع فيها آدم عليه السلام، وهنا يقفز سؤال:

لماذا يعلن الله عن ذاته؟:

هل لأنه كان مجهولاً في يوم ما؟ وهل من المعقول أن تصير الخلائق قرونًا من الزمان طويلة لا تدري من خالقها ورازقها؟ لا تدري من يحرك الكون ويسير السحاب ويسخر الأنهار؟ وإذا كان الأمر كما تدعي المسيحية صحيحًا فمن إذن عرّف آدم ونوحًا وإبراهيم وداود وسليمان وأيوب وبقية الأنبياء بخالقهم؟! وإذا كانت المسيحية تقول بأن آدم عصى ربه ولم يتب فإن ذلك يعني أن ربه كان إليه معلَناً ومعروفاً، وإلا فليخبرنا هؤلاء أي رب هذا الذي عصاه آدم؟ وأي إله أوحى إلى موسى بالتوراة وأسفارها التي توجد بين ظرانيهم؟ حتى وإن سلمنا جدلاً بأن الله لم يعلن إلاحينما جاء المسيح فكم كانت المدة التى استعلن فيها؟ إن أصحاب كتاب(هل تجسد الله) يقولون: (ولمدة ثلاث وثلاثين سنة استمر ذلك الوصول بين الله والطبيعة البشرية بصورة بدت فيها الطبيعة البشرية واضحة جلية)[٧٥]. ومعنى ذلك أن فترة الإعلان لم تستغرق سوى ثلاث وثلاثين سنة هي مدة حياة المسيح، وبعد ذلك عاد الأمر كما كان، وغاب الإله عن البشر، ونحن نتساءل أيضًا: ما حكم من لم يروا الإله منذ ذلك الحين إلى يوم الناس هذا؟ إنهم بلا

(٧٣) هل تجسد الله؟ ص٥٦ أصدرته الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبارة جاردن سيتي، مصر ١٩٨٧م.
(٧٤) رسالة التثليث والتوحيد ص١٧٤، القسيس منصور.
(٧٥) هل تجسد الله ؟ص ٥٩.

شك قوم لا يعرفون لهم خالقاً، ومن ثمّ فلا يصح أن يدعوا أن هناك إلهًا، وهذا الحكم صادر عليهم من أصحاب قضية التجسد وليس منا. هؤلاء القوم الذين كان عليهم إن لم ينتبهوا إلى هذه الأمور، أن ينتبهوا إلى تلك السطور التي وضعت في كتبهم، وهي بدورها تمنع رؤية الله متجسداً عن البشر. وأين؟ وفي إنجيل يوحنا الذي أثار قضية التجسد جاء فيه: (الله لم يره أحد قط... والابن الوحيد الذي في حضن الأب هو خبر)[٧٦]، يعني هو رسول.

والإسلام يبين أن الجريمة الكبرى هي رؤية الله جهرة، قال تعالى لرسوله محمد ﷺ عن بني إسرائيل: ﴿ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ... ﴾[٧٧]. ويوم أن طلب نبي الله موسى رؤيته تعالى منعه وقال: ﴿ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾[٧٨]. وما كان ذلك كذلك إلا لأن هذا الإنسان الضعيف لا يستطيع بتركيبته البشرية تحمل الأنوار الإلهية.

إن العلم الحديث يثبت أمامنا أن الأجهزة الكهربائية ـ كالتلفاز مثلاً ـ إذا ما زادت عليه قوة التيار الكهربائي وصل إلى درجة الاحتراق؛ لأنه معد لقوة معينة على قدر حجمه، وهو مصنوع بيد الإنسان الذي لم يستطع أن يقاوم بعينه ضوء الشمس، كيف به يقاوم ضوء الله خالق الشمس؟ وكيف به يستطيع أن يرى الله جهرة؟ إن العقلية المسيحية التي تؤمن بتجسد الإله لا أراها إلا أحط عقلية عرفتها البشرية، إن عقلية الرجل العربي البدوي الصحراوي التي نشأت بين الرمال والأحجار لا بين الكنائس المزخرفة

(٧٦) يوحنا ١/ ١٨.
(٧٧) سورة النساء آية ١٥٣.
(٧٨) سورة الأعراف ١٤٣.

والفرش المبسوطة كانت أرقى درجة من العقلية المسيحية، لأن العربي كان لا يتصور أن يبعث الله بشراً رسولاً يأكل الطعام ويمشي في الأسواق ﴿وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ لَوْلا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيراً﴾(٧٩)، وهؤلاء يتصورون أن الإله ذاته أكل الطعام ومشى في الأسواق وفدى البشرية من نفسه، وتلك أيضًا قضيةٌ كاذبةٌ.

قضية الفداء قضية كاذبة:

لأن الله تعالى تاب على آدم عليه السلام قال عز شأنه: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾(٨٠). ومن المغالطة الواضحة القول بأن الله لم يتب على آدم؛ لأنه هو التواب الرحيم، ومن كان هذا وصفه فإن باب رحمته لا يغلق أبدًا، ولكن القوم أصرُّوا على إلصاق الخطيئة بآدم عليه السلام وغلق باب التوبة أمامه ووصل بهم الأمر أن يجعلوا حبل الخطيئة معلَّقاً في أعناق ذريته إلى مجيء المسيح عليه السلام الإله ذاته المتجسد عندهم فيصلب من أجل غفران هذه الخطيئة وفداء البشرية، وسجلوا ذلك في كتبهم المحرفة ظانِّين أنهم على حق في أقوالهم، وأن هذا شرف لإلههم، علمًا بأن هذه الحادثة إن صحت فهي وصمة عار تلحق بهم وبإلههم؛ لأنه لا يتصور كون إله خالق قادر يُقتَل ويُصلَب، وكتبهم ذاتها تعلن بأن كل من صلب على خشبة فهو ملعون.

والقرآن الكريم قد ناقش القضية وبَّين أن هناك حادث صلب قد وقع، ولكن ليس للمسيح والمسيح رُفع إلى الله تعالى. قال جل في علاه: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾(٨١). وإذا كان حادث الصلب في حد ذاته

(٧٩) سورة الفرقان الآية٧.
(٨٠) سورة البقرة الآية ٣٧.
(٨١) سورة النساء الآية ١٥٧.

أسطورة فإن ما يترتب عليه أسطورة أخرى، تلك هي أسطورة (ابن الله الفادي) أو المخلص لأبناء آدم من خطيئة أبيهم، هذه المقولة غير المعقولة لا تصلح أساسًا للتعامل البشري، إذ إنها تنفي (المسؤولية الشخصية)، فكيف ارتضاها الله سبحانه لكي تكون سنته في التعامل مع البشر؟ وإذا افترضنا أن واحدًا من البشر ذهب إلى المحكمة متلبسًا بجريمة قتْل، يده ملوثه بالدم، وثبتت إدانته من كل وجه، أيحق له أو لمحاميه أن يدافع قائلا: أنا قتلت ولكن زيدًا من الناس سيتحمل عني هذه المسؤولية فحاكموه هو؟ فإذا كان ذلك لا يجوز في عرف ومنطق البشر فكيف به يصح أمامَ عدالة الله القائل: ﴿أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَىٰ﴾ [٨٢] والتوراة التي توجد بين يدي القوم تؤكد ذلك قائلة: (لا يُقتل الآباء عن الأولاد ولا يقتل الأولاد عن الآباء كل إنسان بخطئه يقتل). وبناء عليه فقضية فداء المسيح - المدعو إلهًا سنة ٣٢٥ م - للبشرية قضيه كاذبة خاطئة لا يرضى بها الواقع ولا تسلم بها الأديان الصحيحة.

ثالثًا: وبالنسبة لميلاد المسيح فقد عقدنا له فصلاً في صدر الرسالة، وبيَّنا أنه لا يصلح أن يتخذ كدليل على ألوهية المسيح.

رابعًا: أما بالنسبة لمعجزات المسيح التي صاحبت دعوته فنحن في الإسلام لا ننكرها؛ لأن المعجزة هي: (الأمر الخارق للعادة الذي قصد به إظهار صدق مدعي النبوة) [٨٤]. والمسيح النبي الرسول كانت له كما يقول الشهرستاني: (آيات ظاهرة وبينات باهرة)[٨٥] جاء ذكر بعضها على لسانه في سورة آل عمران: ﴿وَرَسُولاً إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ

(٨٢) سورة النجم الآية ٣٨.
(٨٤) محاضرات في التوحيد ص ٩، للشيخ صالح شرف.
(٨٥) الملل والنحل ص ٣٩ للشهرستاني.

وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[٨٦]. ولم تكن هذه المعجزات بمثابة التدليل على ألوهيته، ولكنها بالتحقيق لصدق رسالته.

ولقد نظر بعض القساوسة ـ كما ذكر ابن الخطيب ـ إلى هذه الآية الكريمة (وقالوا: إنها تدل على أن المسيح كان يعمل أعمال الله تمامًا، ولذلك فهو الله)[٨٧]، ونسي هؤلاء أن أعمال الله في الخلق تختلف عن أعمال المسيح، فالله تعالى حين يخلق يخلق من عدم، والمسيح يوم أن خَلق خلق من الطين، والطين مادة موجودة أمام عينيه، فلو كان هو الله لخلق الطين أولاً، ومنه خلق الطير، وساعة أن نفخ الروح فيما صور قال: إن ذلك بإذن الله لا بإذني. وإنجيل يوحنا أكد ذلك على لسان المسيح القائل (أنا لا أقدر أن أفعل من نفسي شيئًا)[٨٨]، فهل من المعقول أن ينسب الإله إلى نفسه عدم القدرة؟ فمن إذن يملك هذه القدرة إذا كان رب العالمين لا يملكها؟ نبئونا بعلم إن كنتم صادقين؟.

أما مسألتا شفاء المرضى وإحياء الموتى فإنهما أيضًا لا يدلان على ألوهية المسيح، وإذا كان لوقا ذكر (أن هناك صبيًا قد تقمصه الشيطان فانتهز يسوع الروح النجس وشفى الصبي وسلَّمه إلى أمه فبهت الجميع من عظمة الله)[٨٩]، وإذا كان لوقا قد ذكر أيضًا (أن هناك عشرات المرضى شفوا من البرص على يده مرة واحدة)[٩٠] فإن التوراة أخبرت أن نبي الله اليشع برئ

---

(٨٦) سورة آل عمران الآية ٤٩.

(٨٧) راجع كتاب هذا هو الحق ردًا على مفتريات كاهن كنيسة ص ٧٧، لابن الخطيب.

(٨٨) يوحنا ٥/ ٣٠.

(٨٩) انظر إنجيل لوقا ٩/ ٣٧-٤٣.

(٩٠)انظر إنجيل لوقا إصحاح ١٧/ ١١-١٦

على يديه نعمان السرياني الذي كان مريضاً بالبرص، كما أبصر عيني صبي أعمى)[٩١]. وإذا كان يوحنا أخبر (أن المسيح أحيا العاذر صديقه بعد أربعة أيام من موته)[٩٢]، ولذلك فهو إله، فإن سفر الملوك الأول يروي أن نبي الله آليا (اليأس) أحيا ابن الأرملة ولم تقل له أم الصبي الآن علمت أنك الله، بل قالت: (الوقت علمت أنك رجل الله، وأن كلام الرب في فمك حق)[٩٣]. أما نبي الله حزقيال فقد جاء في سفره أنه (أحيا جيشًا عظيمًا جدًا)[٩٤]. فلو كان كل من شفى مريضًا أو أحيا ميتًا من الأنبياء إلهًا لكثر في الكون تعدد الآلهة، ولما استطاع العقل الإنساني أن يقر لواحد منهم بالوحدانية. وإذا كان عُبّاد المسيح قد فتنوا بمعجزات المسيح ومن أجلها دعوه إلهًا فلماذا لم يفتنوا بإبراهيم جد المسيح يوم أن قطّع الطير ودعاه فجاءه سعيًا؟ قال عز شأنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾[٩٥]. ولم لم يُفتَنوا بموسى الذي أخبر عنه في سفر الخروج (بأنه أخذ من النهر وسكب على اليابسة فصيّر الماء الذي أخذه من النهر على اليابسة دما)[٩٦]؟وهل كانت أعينهم في غطاء عن يد موسى الذي قال له الرب: (أدخل يدك في عبك ثم أخرجها وإذا يده برصاء كالثلج، ثم قال له: رد يدك إلى عبك، فرد يده إلى عُبِّه وإذا هي قد عادت مثل جسده)[٩٧]؟لماذا افتتن هؤلاء

(٩١) راجع سفر الملوك الإصحاح / الخامس والسادس.
(٩٢) راجع يوحنا إصحاح / ١١.
(٩٣) سفر الملوك الأول إصحاح ١٧ / ٢٤.
(٩٤) انظر حزقيال إصحاح ٣٧/ ١-١٠.
(٩٥) سورة البقرة الآية ٢٦٠.
(٩٦) سفر الخروج ٧/ ٢٠.
(٩٧) سفر الخروج ٤/ ٧٢٦.

بالمسيح ومعجزاته ولم يفتنوا بموسى كليم الله ورسوله؟ الذي أمره رب العالمين أن يلقي عصاه التي في يده ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَا مُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ﴾[٩٨] العصي الجامدة حولت بقدرة رب العالمين إلى حية تسعى أمام أعين الناظرين، ولم يقل أحدٌ أن موسى إله من دون الله، علمًا بأن الأمر لا يقل في روعته عن إحياء الميت، فلماذا يستحق المسيح الألوهيه دون موسى؟! إن صاحب «كتاب الحق» هو كاهن مسيحي ناقشه ابن الخطيب في كتابه «هذا هو الحق» وأدحض حججه أراد أن يبرهن على ألوهية المسيح بطريقة أخرى فقال (إن المسيح يعلم كل شيء، واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وأنبئكم بما تأكلون وماتدخرون في بيوتكم﴾، ثم قال معجبًا طربًا: لك المجد أيها المسيح إلهنا الذي كل شيء عريان ومكشوف لديك)[٩٩]. وبذلك ظن ذلك الرجل المخمور أن المسيح استحق الألوهية؛ لأنه ينبئ قومه بما يأكلون ويدخرون ونسي أن يوسف عليه السلام كانت لديه تلك الخاصة تمامًا حين قال لصاحبيه في السجن: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي..﴾[١٠٠]، ولم نر أحدًا يعبد يوسف من دون الله، ولعل رجال التنويم المغناطيسي، ورجال الفلك في زماننا يستحقون العبادة أيضًا؛ لأنه يمكنهم أن يصلوا إلى كثير من هذه الأشياء، وليس هذا طعنًا في المعجزات أو انتقاصًا من شأنها، ولكنه لبيان أن كل خارق للعادة إذا استوجب التقدير فلا يستوجب العبادة، حتى وإن ارتفعت هذه المعجزات إلى إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص، وخلق الطير وكشف

(٩٨) سورة طه الآيات: ١٩ ـ ٢١.

(٩٩) كتاب الحق ص ١٢٦ نقلاً عن كتاب هذا هو الحق ص ٨٤ لابن الخطيب.

(١٠٠) سورة يوسف الآية ٣٧.

بعض الغيبيات، مادام القائم مستعينًا بالله، وإذا أراد النصارى إلزام الناس بتصديق معتقدهم في المسيح فإننا نلزمهم بأن يأتوا إلينا بهذه المعجزات أمام أعيننا لنراها؛ لأنها معجزات حسية مرئية، ولكنهم لا يستطيعون؛ لأن المعجزة في الأزمنة السابقة للإسلام كانت تنتهي بانتهاء زمانها، أما الإسلام فمعجزته باقية بقاء الأزمنة وهى تتمثل في القرآن الكريم، ولا تتمثل في نبع الماء من بين أصابع النبى ﷺ ولا في حنين الجذع ولا في تسبيح الحصى. إلخ؛ لأن هذه معجزات موقوتة بزمانها ونحن نصدقها، ولا نلزم الناس جميعًا بالقرآن الكريم، ولولا أنه تحدث عن بعض معجزات المسيح الرسول ما صدقنا إنجيلاً واحدًا؛ لأنها أناجيل تحوم حولها الشكوك من كل جانب، فضلاً عن أن المعجزات ذاتها معجزات وقتية، وبذلك نكون قد بيّنّا أن المسيح الرسول لم يكن إلهًا في يوم ما.

ثانيًا: أدلة القوم على ألوهية الروح المقدس

لقد حاول أصحاب الثالوث أن يقيموا أدلة على ألوهية الروح القدس المزعومة (سنة ٣٨١ م) من كتبهم، ظانين أن هذه الفكرة أيضاً لها جذور في اليهودية، ولذلك أكدت عليها المسيحية، يقول حبيب سعيد: (لعل فكرة ألوهية الروح القدس من أبرع الفكر التي اقتبسها علم اللاهوت المسيحي عن العهد القديم. . . . ثم يسوق قول المرنم: (أين أذهب من روحك ومن وجهك، أين أهرب؟). مزمور ١٣٩/ ٧. ثم يقول إن هذه الآية تؤكد ألوهية الروح القدس [١٠١]. وينهض القديس إمبروسيوس إلى العهد الجديد فيسوق قول الرسل: (لأنه قد سر الروح القدس ونحن). أعمال الرسل ١٥/ ٢٨. ثم يقول: وعندما يقول أي الرسل (قدس) فهم يشيرون

(١٠١) الروح القدس في العصر الحديث ص ٢٢ حبيب سعيد.

ليس فقط إلى فاعل النعمة، بل أيضًا إلى مصدر تنفيذ ما أوصى به، وما قرأنا عن الروح القدس أنه سر، كذلك قيل عن الله؛ لأننا نقرأ عن الله أنه سر، فالروح القدس هو الله الذي له مسرة خاصة وسيادة على قوته)[١٠٢].

نقد ومناقشة هذه الأدلة:

إن ما ذكره حبيب سعيد لا يدل من قريب أو بعيد على أن العهد القديم فيه كلمة واحدة تدل على ألوهية الروح القدس، ويوم أن تعرّض العهد القديم للروح القدس أعطاه معان مختلفة من أهمها: أنه سفير الإله وحامل كلام الله إلى الرسل والأنبياء، يقول سفر الخروج:

أ) (ها أنا مرسلٌ ملاكًا أمام وجهك ليحفظك في الطريق، وليجيء بك إلى المكان الذي أعددته، اختر زمنه واسمع لصوته، ولا تتمرد عليه؛ لأنه لا يُفصح عن ذنوبكم؛ لأن اسمي فيه) [١٠٣]. والعرف الدولي في زماننا هذا يتفق على أن السفير هو ممثل الدولة ولرئيسها بالذات، وعلى ذلك فإن أي مساس بالسفير يعني المساس برئيس الدولة. (فتعبيرات اسمي فيه) يعني أنه يقوم مقام السفير بين الله سبحانه وتعالى، وبين خلقه ولم يكن إلهاً.

ب) وجاء أيضًا في سفر صموئيل الأول: أن الله غضب من شاول ففارقه روح الرب إذ يقول: (وذهب روح الرب من عند شاول وبغته روح رديء من قبل الرب) [١٠٤]. وهنا نجد أن روح القدس يحل على الإنسان المطهر النقي، أما إذا أغضب ذلك الإنسان ربه فإن الروح القدس يفارقه ويصيبه روح شرير.

---

(١٠٢) الروح القدس الكتاب الثاني ص ٥٦ ، للقديس إمبروسيوس، تعريب د. جورج بباوي.
(١٠٣) سفر الخروج ٢٣/ ٢٠-٢١ . (١٠٤) صموئيل الأول ص ١٦٥/ ١٤ .

من هذا نرى داود يصلي داعيًا ربه قائلاً: (قلبًا نقيًا اخلق فيَّ يا الله، وروحا مستقيما جدد في داخلي. لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدس لا تنزعه مني) [١٠٥]. وهذا كله لا يعني أن الروح القدس إلهًا، بل يعني أنه خلق الله ينفذ أوامر خالقه ويتنزل بأمر الله على من يشاء من عباده.

جـ) وإذا نظرنا إلى ما ساقه القديس إمبروسيوس من العهد الجديد فإنه يعني به أن الروح القدس والمسيح شيءٌ واحدٌ لا اختلاف بينهم، ومن ثم فالروح القدس إلهًا، وهذا خطأ فاحش قامت عليه العقيدة المسيحية التي تؤمن بالثالوث، وكتبهم تشهد بأن الروح القدس شخصية مختلفة عن المسيح وخالقه، فها هو إنجيل لوقا يقول: (لما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضًا، وإذ كان يصلي انفتحت السماء، ونزل عليه الروح القدس بهيئة جسمية مثل حمامة) [١٠٦].

وإذا كنا قد علمنا في السطور السابقة أن الروح القدس كان مع أنبياء العهد القديم فإننا نراه هنا مع المسيح عند المعمودية، وهو معه في التجربة، فالروح القدس ليس ثابتًا في أحد، ولكنه يأتي للأنبياء حسب متطلبات الأحوال، وهذا يعني أن ذات المسيح شيء وذات الروح القدس شيء آخر، يؤكد ذلك ما ذكره مرقس على لسان المسيح: (الحق أقول لكم إن جميع الخطايا تغفر لبني البشر والتجاديف التي يجدفونها، ولكن من جدف على الروح القدس فليس له مغفرة إلى الأبد) [١٠٧]. كل ذلك يؤكد أن الروح القدس شخصية تختلف عن المسيح، ولم تصل في يوم ما إلى درجة كونها إلها. والآن نبين:

---

(١٠٥)مزمور ٥١/ ١٠، ١١.

(١٠٦) إنجيل لوقا ٣/ ٢١-٢٢.

(١٠٧)إنجيل مرقص ٣/ ٢٨-٢٩.

المفهوم الإسلامي للروح القدس:

لقد جاءت عبارة الروح القدس في القرآن الكريم، وقصد بها جبريل عليه السلام، قال جل شأنه: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾ (١٠٨) وهذا يؤيد رسالة عيسى عليه السلام، وجاء أيضًا ما يؤيد رسالة محمد ﷺ قال عزشأنه: ﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ (١٠٩). وكلها تفسر بجبريل عليه السلام (قال ابن عباس رضي الله عنهما: وتأييده بروح القدس وهو جبريل عليه السلام ليدلهم على صدقه فيما جاءهم به، وقال محمد بن إسحاق: . . . . . إن نفرًا من اليهود سألوا الرسول ﷺ، قالوا: أخبرنا عن الروح، فقال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه جبريل وهو الذي يأتيني؟ قالوا: نعم)(١١٠). والتوراة أيدت كون روح القدس جبرائيل عليه السلام، يقول سفر زكريا: (الوحي الذي أرسله الله بروحه عن يد الأنبياء)(١١١). أي بوساطة روحه وهو جبريل عليه السلام.

مما سبق يتبين لنا أن الإسلام لايعني بالروح القدس إلا جبريل ولم يكن ذلك الروح إلهًا، ولو كان إلهًا لكان له منهج وشرع معلوم به أوامر ونواهي، فهل يخبرنا أهل الثالوث عن المنهج الذي أمر به الروح القدس الإله عندهم كافة خلائقه من البشر ليسيروا عليه؟ أم أنه إله بدون منهج خلق الخلق وتركهم في الظلمات يتخبطون؟. تعالى الله عما يقول المبطلون علوًا كبيرًا.

---

(١٠٨) سورة البقرة آية ٢٥٣. (١٠٩) سورة النحل آية ١٠٢.

(١١٠) انظر تفسير ابن كثير لسورة البقرة الآية ٢٥٣، وسورة النحل الآية ١٠٢.

(١١١) سفر زكريا ٧/ ١٢.